الإيثار
AL-ETHAR
24

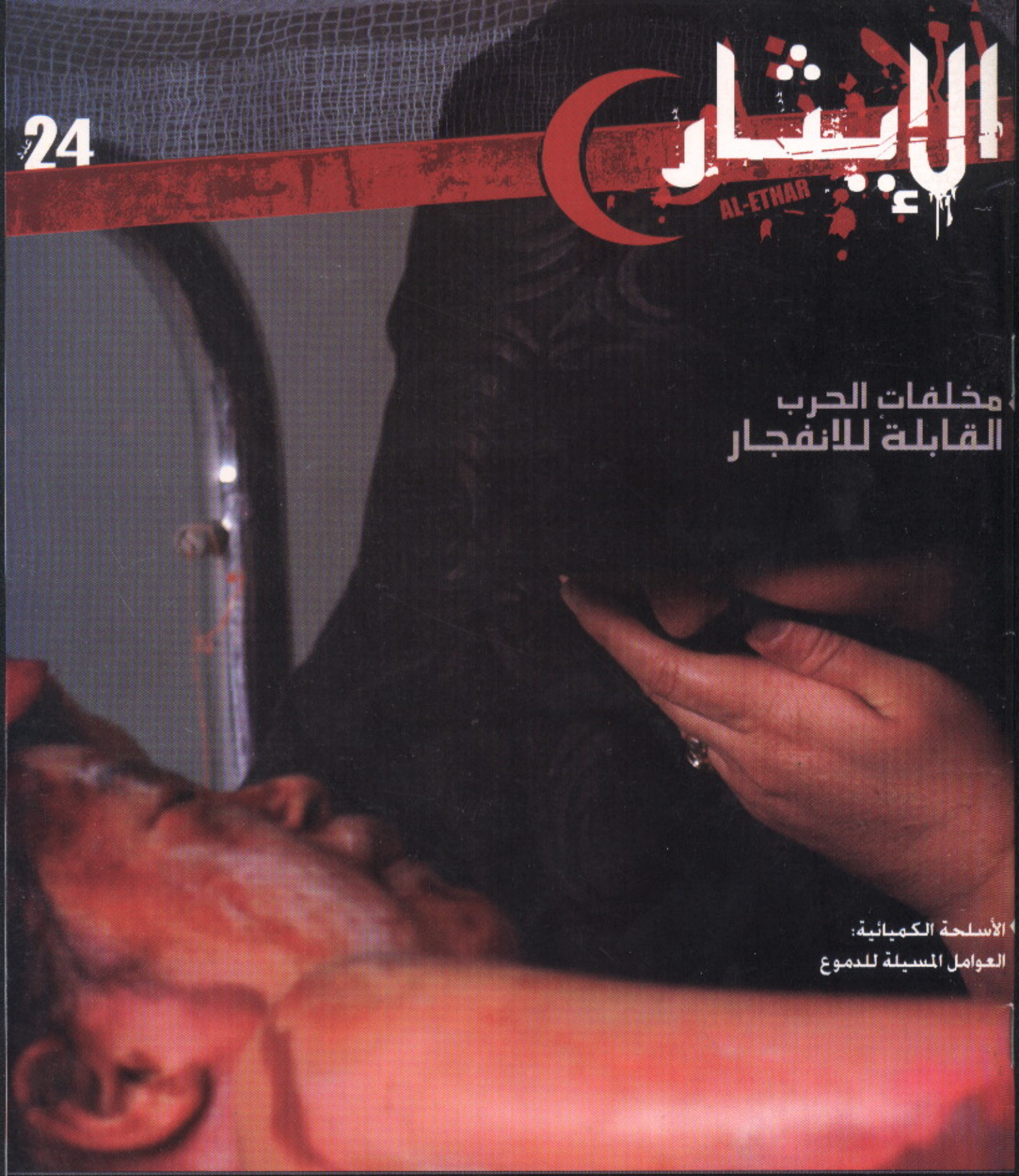

مخلفات الحرب القابلة للانفجار

الأسلحة الكميائية:
العوامل المسيلة للدموع

ضحايا في الحرب و الألغام في العراق

مخلفات الحرب القابلة للإنفجار خطر داهم.

تعد مشكلة مخلفات الحرب غير المنفجرة في العراق أمراً شديد الخطورة. ويصف مصطلح مخلفات الحرب غير المنفجرة أصنافاً عديدة من الذخائر القابلة للانفجار التي تبقى في منطقة ما عقب انتهاء النزاع، وتتضمن كل شيء بدءاً بقذائف المدفعية والقنابل اليدوية وقنابل الهاون والقنابل العنقودية إلى الصواريخ والقذائف الصاروخية.

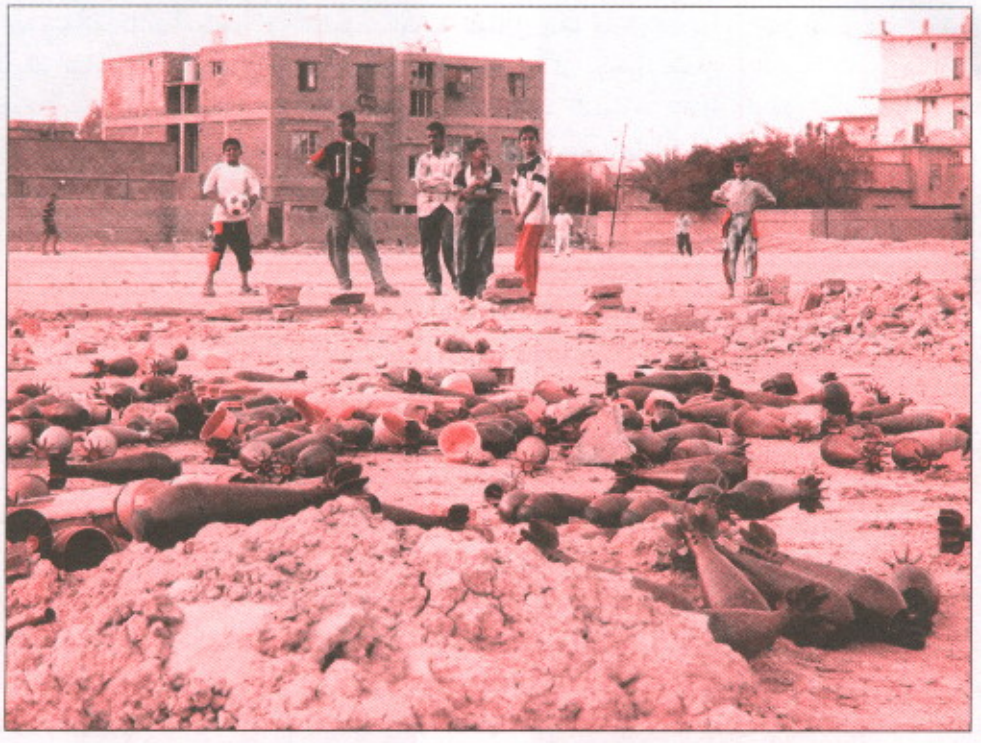

مع إعلان انتهاء المعارك الكبرى في الحرب الأخيرة على العراق في أبريل الماضي، صار هذا البلد مسرحاً لمعركة أخرى ذات طابع غادر، وهي معركة مواجهة أخطار مخلفات الحرب غير المنفجرة التي تبين أنها تنتشر في كافة أنحاء العراق. وتعد مشكلة مخلفات الحرب المنفجرة في العراق أمراً شديد الخطورة. ويصف مصطلح مخلفات الحرب غير المنفجرة أصنافاً عديدة من الذخائر القابلة للانفجار التي تبقى في منطقة ما عقب انتهاء النزاع، وتتضمن كل شيء بدءاً بقذائف المدفعية والقنابل اليدوية وقنابل الهاون والقنابل العنقودية إلى الصواريخ والقذائف الصاروخية.

ويعتبر السيد جون سولبرغ، مستشار اللجنة الدولية لمخلفات الحرب المنفجرة، وهو محارب قديم في العديد من مناطق النزاعات، أن الوضع في العراق أسوأ من أي وضع صادفه من قبل: (إذ تتراكم أكوام من الذخائر والألغام والأسلحة الخفيفة في البلاد، معظمها في المناطق الصناعية. كما يمكن العثور عليها أيضاً في الملاعب والمدارس ومواقع البناء وأكوام القمامة على طول الطريق). وقد أظهرت سجلات المستشفيات في محافظة (ميسان) الجنوبية أن ٧٢ ضحية تم إدخالها في الأسابيع القليلة الأولى التي أعقبت إنتهاء الأعمال العدائية. (وتمثل هذه المخلفات مصدر تهديد دائماً للسكان، خاصة الأطفال، الذين لا يدركون مدى الخطر فيلمسونها باستمرار ويلعبون بها وبذلك يتعرضون إمَّا لخطر التشوه أو القتل)، كما يقول سولبرغ. أضف إلى ذلك أن هذه المخلفات تعيق عمليات إيصال المساعدات الإنسانية وإعادة إعمار البنى التحتية وإعادة العمل بالحقول الزراعية. ومع ارتفاع عدد الضحايا، أقرت اللجنة الدولية بالحاجة الملحة إلى التأثير على سلوك الأفراد ومواقفهم تجاه مخلفات الحرب الفتاكة هذه.

لكن اللجنة الدولية للصليب الأحمر تشدد على أهمية التزام كافة الدول بعدم استخدامها في مناطق مأهولة بالسكان أثناء خوض النزاعات المسلحة، وخاصة أن تأثير هذه المخلفات مروع للغاية (فالمخلفات غير المنفجرة تقتل وتبتر أطراف الكثير من المدنيين بلا تمييز حتى بعد مرور وقت طويل على إنتهاء النزاع كما تتسبب في آلام لا مبرر لها، وهي أمور يحظرها القانون الدولي الإنساني الذي يحظر إصابة الأشخاص المدنيين أو الأعيان المدنية بشكل عشوائي ودون تمييز).

وفي الأشهر الماضية، شنت اللجنة الدولية جنباً إلى جنب مع الإتحاد الدولي لجمعيات الصليب الأحمر والهلال الأحمر، حملة توعية بأخطار الألغام ومخلفات الحرب المنفجرة والتهديد المميت الذي تلوح به. ومنذ مايو/ آيار نُظمت جلسات توعية بهذا الشأن بينما توزع ملصقات ونشرات على جميع فروع جمعية الهلال الأحمر العراقية في جنوب العراق- وهي المنطقة الأكثر عرضة للحوادث في البلاد. كما قامت المحطات الإذاعية المحلية ببث رسائل هذه الحملة عبر أنحاء البلاد. وحسب إفادة شهود العيان، تتواجد هذه المخلفات في المناطق السكنية المحيطة بمدينة بغداد خلال الحرب الأخيرة على العراق، مثل مناطق الدورة وحي الجهاد وحي العامل وأبي غريب. ففي منطقة حي الصحة في الدورة مثلاً، أصاب بعضها العديد من المنازل السكنية محدثاً ضرراً مادياً بليغاً في الممتلكات وتسبب، حسب شهود العيان، بمقتل ثلاثة أشخاص وإصابة آخرين بجروح خطيرة. يقول المواطن عبدالمحسن شريف الذي تعرض لإصابة في قدمه أنه كان جالساً داخل بيته أثناء القصف، ثم ذهب بعدها لتفقد الحديقة وإذا بقنبلة تنفجر فيه. وقد قام الأمريكيون بأخذ عبدالمحسن لمداواته ولكن مازالت قدمه تؤلمه بسبب الحادثة. كما جاءت القوات الأمريكية بعدها لتخلي هذه المخلفات من المكان، لكن كثرة هذه المخلفات جعلت نتائج عملهم ضئيلة.

ويذكر هذا الرجل أن طفلاً من الحي حمل إحدى هذه المخلفات بيده التي كانت ملطخة بالوحل، ولم تنفجر. وهكذا استطاع الكثيرون اتباع نفس الطريقة للتخلص منها. وحسبما يقول المهندس علي عباس إن بيته تضرر كثيراً بفعل وقوع حاوية لهذه الذخائر على بيته، حيث احترق الطابق العلوي لداره واحترق معها أثاث البيت، وخاصة أن وقوع الحادثة كان في موسم الشتاء أي كانت البسط تملأ الدور. ويذكر أنه سعى إلى البحث عن شخص متخصص في إزالة هذه المواد المنفجرة، وخاصة أنها ملأت أسطح وحدائق البيوت، وفعلاً عثر على ضابط متقاعد من الجيش العراقي له دراية بهذه الأمور، ونجح في جمع المخلفات ووضعها على شكل أكوام ومن ثم دفنها في الباحة الخالية الواقعة بجانب البيوت. ومازالت هذه المواد المنفجرة متواجدة في داخل الأرض بينما يقوم الرعاة برعي أغنامهم بالقرب منها غير مدركين لحجم الخطورة التي يواجهونها.

وفي المنطقة الزراعية في (البوعيثة) في حي الدورة، رميت بعض الحاويات قرب المناطق العسكرية مما سبب ضرراً بالمناطق الزراعية المحيطة بالمنطقة حسبما أفاد السكان الذين يقطنون قرب المكان.

يقول الفلاح سلمان محمد الذي يعمل في بستان قريب، إن محاصيله تضررت كثيراً وأنه لا يستطيع العمل بحرية نظراً إلى المخاطر الناجمة عن الاقتراب من المخلفات الحربية، خاصة تلك المختفية بين الأعشاب. ولم تحدث أية إصابات حتى الآن في تلك المنطقة لكن موسم الزراعة اقترب وسلمان لا يستطيع أن يفعل شيئاً. لكنه عمد إلى إحراق المناطق التي يتواجد فيها العشب بكثافة عسى أن تنفجر المخلفات بفعل النار.

وفي حي الجهاد، ذكر شهود عيان أن ثلاثة شوارع سكنية تضررت بهذه المخلفات في منطقة حي الفرات. وحسبما يقول مشكور عيدان حامد المواطن الذي يسكن المنطقة فإن منزله الذي يضم سبعة عشر شخصاً خلال الحرب الأخيرة، وقعت عليه حاوية فجرت سطح البيت مما أدى إلى جرح الطفل أحمد شاكر البالغ من العمر ١٢ سنة. وأفاد شهود عيان آخرون أن أربعة أشخاص قتلوا ممن كانوا في بيوتهم أو خارجها جراء هذه الذخائر. ويمكن مشاهدة التأثير الانفجاري من الآثار المتواجدة بالبيوت المتضررة التي امتلأت بالشظايا الصغيرة المتناثرة في أجزاء واسعة من المنطقة.

ويذكر الشهود أن الكثيرين من السكان جُرحوا، حيث جاءت في وقتها أكثر من عشر سيارات إسعاف لنقل الجرحى والمصابين، وكان سعد هاني، الذي جاء بعكاز وهو يئن من الألم، جالساً في بيته أثناء الحرب وانفجرت هذه الذخائر بمنزله مما أدى إلى إصابته.

وقد أصيب سعد في قدمه ويده إصابات بالغة كادت تودي بحياته، لكنه نجا بأعجوبة وخاصة أن آثار العمليات التي أجريت له مازالت واضحة للعيان، وسعد عامل يعمل بأجر يومي ليُعيل عائلة عدد أفرادها خمسة، وهو الآن بدون عمل بعد أن تعرض للإصابة.

هذا، ومازال الكثير من هذه المخلفات متواجدة بين أشجار النخيل في المنطقة مما جعل أصحاب البيوت يبتعدون عن تلقيح الأشجار وتشذيبها. وإلى الآن، تجد هذه الذخائر والمخلفات الحربية الأخرى في الباحات الخالية للمنازل مما يشكل تهديداً حقيقياً لحياة الأشخاص. ويذكر مشكور عيدان طريقة للتخلص من هذه المواد المنفجرة، قائلاً: (لقد عرفنا كيفية التخلص من هذه المخلفات عن طريق الصدفة، فقد حمل طفل واحدة منها وأخذ يركض بها أمام مرأى الجميع. فقد تبين أن بعضها فقد مفعوله التفجيري، لذلك حاولنا جمع ما يمكننا في مكان واحد ثم أطلقنا النار على كومة المخلفات الصغيرة لتفجيرها). وربما كانت الصدفة هي التي تحول دون وقوع كوارث عندما يقوم الناس بأنفسهم على جمع هذه المخلفات والتخلص منها. فما تنصح به اللجنة الدولية هو عدم الاقتراب منها وضرورة إبعاد الأطفال عنها بالذات.

يقول سولبرغ مستشار اللجنة الدولية: (الرسالة الرئيسية التي نؤكد عليها هي: إذ رأيت شيئاً مثيراً للشك، قف! لا تقترب منه، لا تلمسه، لا تلق أي شيء عليه ولا تلتقطه). وقد نظمت اللجنة الدولية، في إطار حملتها للتوعية من مخاطر المخلفات الحربية أول دورة تدريبية ترعاها في بغداد وحضرها ٢٠ متطوعاً من الهلال الأحمر العراقي. وفي (الناصرية)، تم تدريب ٤٠ متطوعاً من الهلال الأحمر على تقنيات العرض الفعالة وكيفية جمع البيانات وتحليل الحقائق والأرقام عن الضحايا والمناطق الملوثة. وفي (العمارة) حضر ٢٥ متطوعاً ندوة عن جمع البيانات عن الضحايا.

والآن، يمتلك عدد كبير من المتطوعين من المحافظات الجنوبية الأربع المهارات اللازمة للقيام بعروض أولية للأشخاص في المناطق المتأثرة، وجمع البيانات وتقديم التقارير بشأن النتائج التي يتوصلون إليها. وقد وفرت اللجنة الدولية باستمرار تقارير عن المناطق المعرضة لخطر مخلفات الحرب المنفجرة إلى فريق الأمم المتحدة لتنسيق العمل بشأن الألغام: وعند حلول منتصف يونيو/ حزيران ٢٠٠٣م كانت اللجنة الدولية قد قدمت ٢٧ تقريراً مماثلاً.

وفي الوقت الحالي تقوم بعض المنظمات غير الحكومية وبعض منظمات الأمم المتحدة وقوات التحالف في العراق بالعمل على توعية السكان وإزالة المخلفات الحربية في بعض المناطق. وتقع المسؤولية الأساسية على قوات التحالف فهي المسؤولة عن هذا العمل بوصفها قوات احتلال، لكن كثرة هذه المخلفات الحربية غير المنفجرة يجعل العمل ضئيلاً قياساً إلى الحاجات الحقيقية. حيث أعلن ممثل منظمة اليونسيف في العراق كارل دي روي (إن قوات التحالف عليها التزام حسب القانون الدولي الإنساني في إزالة هذه المواد من المناطق السكنية. وبالرغم من أن الجنود يعملون بجد لإزالة هذه المواد، إلاَّ أن العمل غير كافٍ ولا يجري بالسرعة الكافية).

وقد أصدرت منظمة اليونسيف في العراق بعد الحرب الأخيرة بياناً صحفياً عبرت فيه عن قلقها حيال وجود الكثير من القنابل العنقودية في مناطق سكنية في مدينة بغداد والتي يتواجد فيها وحدها أكثر من ثمانمائة موقع خطير بها مخلفات حربية غير منفجرة.

وقد بينت منظمة اليونسيف أن أكثر من ١٠٠٠ طفل عراقي قد تعرضوا للأذى جراء الذخائر غير المنفجرة التي انفجرت بهم أو جراء آلاف الأطنان من المعدات والأسلحة التي تركها الجيش العراقي في المباني العامة والمناطق السكنية في العراق. حيث تعرض ١٣٣ طفلاً للموت والجرح جراء المخلفات الحربية غير المنفجرة في مدينة كركوك خلال فترة الأسبوعين الأخيرين فقط من شهر أبريل/ نيسان الماضي.

ويتعرض الأشخاص المدنيون في مدينة الموصل لأكثر من ٢٠ حادثة يومياً جراء انفجار المخلفات الحربية.

ويثير منظر وشكل هذه المخلفات الفضول الطبيعي عند الأطفال بصورة خاصة لكونها ملقاة على نحو غير مؤمن، ولكونها تتخذ أشكالاً متنوعةً، مما يجعلهم أكثر عُرضة للحوادث.

وفي إطار حملتها للتوعية بمخاطر المخلفات الحربية غير المنفجرة وأثرها على السكان قامت بعثة اللجنة الدولية للصليب الأحمر في بغداد بنشر وتوزيع المنشورات والملصقات، وكذلك قامت بإذاعة رسائل التوعية التي أُعدت عبر محطات الراديو الأكثر انتشاراً بالعراق، كما تقوم بعمل مسح ميداني مستمر للمناطق والأشخاص المتضررين في كافة أنحاء العراق. وقد شمل المسح الذي أجرته مؤخراً جمعية الهلال الأحمر في بغداد تسعين منطقة لأشهر يونيو/ حزيران، ويوليو/ تموز وأغسطس/ آب الماضية ثلاثة عشر منطقة منها متضررة، ثمانية منها في جانب الكرخ وخمسة في جانب الرصافة.

حيث بلغت النسبة المئوية للمناطق التي تضررت بهذه المخلفات في مدينة بغداد وحدها دون سائر المدن العراقية ١٤,٤٪.